النصوص اللغوية الدينية أو الفنية، سواء في مصر القديمة أو لدى اليونان، وحضارات الشرق القديم، أو في تاريخ الديانات.

فيما يتعلق بالثقافة العربية، وأمام الافتقار إلى أدلة تاريخية عن علاقة النص الشعري بالموسيقى والإيقاع، نتلمس ذلك من خلال كلمة «الإنشاد» التي يقصد بها نمط أدائي معين يفترض بالضرورة وجود السمة الغنائية والنغمية في عرض النص على المتلقي السامع، وكلمة «طرب» التي كثيراً ما تصادف رد فعل المتلقي.

في لسان العرب نقف على «الغناء» كمعنى من معاني الطرب يقول ابن منظور: «استطرب، طلب الطرب واللهو، وطربه هو وطرب تغنى... ويقال: طرب فلان في غنائه تطريباً إذا رجع صوته وزينه... والتطريب في الصوت مده وتحسينه، وطرب في قراءته، مد ورجع، وطرب الطائر في صوته كذلك...»[3].

أما بالنسبة للإنشاد فنجد «أنشد الشعر، وتناشدوا، أنشد بعضهم بعضاً، والنشيد فعيل بمعنى فعل، والنشيد الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضهم بعضاً...»[4]، فهو وثيق الصلة بالشعر. والأدلة كثيرة على شيوع هاتين الكلمتين في علاقتهما بالشعر في كتب الأخبار والسير والأدب. هذا فضلاً عن بعض الإشارات المتفرقة التي تتصل بأنماط غنائية وإنشادية، وجدت لدى العشائر العربية القديمة، مواكبة لبعض الفعاليات الحياتية اليومية مثل الاستسقاء من العيون والآبار أو البناء والحفر الخ...[5].

إن الشعر في نفسه الإيقاعي الموسيقي، يحقق كخطاب شرطاً انسجامياً، هذا الشرط يجعل مسألة تلقيه يسيرة «.. لما في الشعر من انسجام المقاطع وتواليها بحيث تخضع لنظام خاص في هذا التوالي، ومتى دربت الآذان على هذا النظام الخاص ألفته، وتوقعته في أثناء سماعها، ومثل الوزن في هذا مثل كل شيء منظم التركيب منسجم الأجزاء يدرك المرء بسهولة سر توالي أجزائه خيراً مما يمكن أن يدرك المضطرب الأجزاء الخالي من النظام والانسجام...»[6]. ومن الطبيعي أن يكون الوقوف عند الخاصية الانسجامية للأداء الشعري جزءاً مما يمكن أن يقود إليه التلقي الشفوي، وقبله عملية العرض الإنشادي. فصيغة عرض النتاج تستمد طبيعتها الإنشادية من طبيعة لغة الشعر نفسها، فهي لغة تحمل في ثناياها بذور غنائيتها، وبالتالي فهي تحدد بشكل أو بآخر صيغة عرضها وتلقيها. هكذا لا تصير الخاصية

---

(3) ابن منظور، لسان العرب، م 1، ص. ص 558-559.

(4) ابن منظور، لسان العرب، م 3، ص 423

(5) ينظر بهذا الخصوص: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص ص 44- 45. ت٠ عبد الحميد النجار، حيث الإحالة على البلاذري والطبري.

(6) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، م الأنجلو، ط 4، 1972، ص. ص 13 - 14.